



# المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

عبدانعم مصطفى حليمة  
أبو بصير الطرطوسي



# المنهج في

## الطلب، والتلقي، والاتباع

عبد المنعم مصطفى حليلة

"أوبصير الطرطوسي"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة:

### بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلِّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل

عمران:102.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء:1.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ الأحزاب:70-71.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

وبعد، عندما يفتقد الإنسان الميزان الحق الذي به يزن الأشياء؛ به يزن الكلمات، والمواقف، والأشخاص .. حينئذٍ لا يعرف أين هو من الحق، وهل هو مع الحق أم مع الباطل .. وسواد من يُكثِّر.. وتحت أي مظلة يستظل؛ لأنه حينئذٍ لا يُحسن التمييز بين الحق والباطل .. ولا بين النافع من الضار.. ولا بين الفاضل من المفضول .. فالباطل قد يراه حقاً، والحق قد يراه باطلاً، والظالم قد يراه عادلاً، والعاقل قد يراه

ظالمًا، فيُخسر في الميزان طوعاً أو كرهاً، كمن يسير في ظلامٍ داكنٍ يتخبط في الطرق وأوديتها وحفرها، من غير مصباح يُضيء له.

من هنا تكمن أهمية هذا البحث الذي أسميته " **المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع** " الذي يعتبر بمثابة الميزان؛ الذي به تُوزن الأشياء، في حال ما تُعرض عليه، وهو كذلك بمثابة المصباح الذي يُضيء لصاحبه الطريق، فيبصره بمواضع الحفر من غيرها.

ما أحوج الناس لهذا المصباح، وهذا الميزان في هذا الزمان الذي تنوعت فيه وسائل الطلب والتلقي، وتنوعت وتضخمت فيه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وفشا فيه القلم، بصورة يعجز فيها الإنسان عن متابعة مجرد العناوين مما يُطبع ويُنشر!

كثرت المعارض، وكثرت المعروضات .. وتفننوا في عرضها وتزيينها في أعين الناس .. حتى بات المرء لم يعد يُحسن التمييز بين الأصلي منها من المغشوش .. ولا بين الصادق منهم من الكاذب!

ما هو الحق منها وما هو الباطل .. ما يُؤخذ منها وما يُرد .. ثم أين تُوضع الخطأ عند المسير .. وفي أي اتجاه تسير .. هذا ما سيعرفه القارئ ويقدر عليه إن تمكن من استملاك الميزان، الذي سنبينه. بإذن الله تعالى. في هذا المبحث الهام والوجيز.

**فالله المستعان، وعليه التكلان، وهو حسبي ونعم الوكيل**

## تشخيص الداء:

الإنسان ابن بيئته الثقافية والفكرية .. فكما أن جسد الإنسان يتأثر ضعفاً وقوة .. سلامة وسقماً .. بحسب ما يدخل . أو يدخل إليه من أنواع الأطعمة والأغذية .. وبحسب جودة وصلاحية هذه الأطعمة .. كذلك يتأثر عقله، وفكره، وذوقه ضعفاً وقوةً .. استقامة وانحرافاً .. حقاً وباطلاً .. بحسب ما يُلقى . أو يُلقى . في وعاء رأسه وقلبه من قيم ومبادئ .. ومعاني وثقافات .. وبالتالي فإن سلوكيات .. وأخلاقيات .. واعتقادات .. ومواقف الإنسان . سواء الموافق منها للحق أم الموافق للباطل . ما هي إلا عبارة عن نتاج القيم والمبادئ والأفكار التي كان قد تلقاها من بيئته الثقافية . أو البيئة الثقافية التي تُحيط به . إن كانت خيراً فخير، وإن كانت شراً فشر .. فالوعاء ينضح ما فيه، وما يُلقى فيه.

وشياطين الإنس . ومن ورائهم إخوانهم من شياطين الجن تأزهم أزاً . قد تفتنوا لهذا المعنى .. فأحاطوا الإنسان . على مدار الوقت . بسياج من وسائل التلقي المختلفة؛ المرئي منها، والسمعي، والمقروء .. فالقنوات التلفزيونية . التي تبث الشرور والسموم . بالمنات إن لم تكن بالآلاف .. يُضاف إليها وحش الإنترنت وما يُبث فيه . ومن خلاله . من شرور تكاد تقتل جميع أوقات الإنسان في الحرام، وفيما يغلب ضرره نفعه .. يُضاف إليها المناهج التعليمية الدراسية القائمة على تكريس مفاهيم الإلحاد والإباحية، التي تُفرض على الأبناء والأجيال منذ المرحلة الابتدائية، وإلى ما بعد المرحلة الجامعية .. يُضاف إليها هذا الكم الهائل من الدعايات والإعلانات التي تزين الشر وتروج له .. والتي تلاحق الإنسان في كل مكان وفي كل زقٍ يسير فيه .. طوق بعد طوق .. وخناق بعد خناق

.. ظلمات بعضها فوق بعض .. حتى لا يكاد المرء أن يرى من النور شيئاً .. هذا المكر والكيد .. يصوره لنا القرآن الكريم .. يوم ينكشف الغطاء .. وتتجلى الحقائق للعيان .. من خلال حوار الأتباع المستضعفين، من الشعوب الضالة التائهة .. مع أسيادهم الطغاة المستكبرين من شياطين الإنس والجن .. كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ سبأ:33. فهو ليس مكر الليل وحسب، ولا مكر النهار وحسب، بل هو مكر متواصل من غير توقف ولا انقطاع؛ تواصل الليل بالنهار، وتواصل النهار بالليل .. حتى لا يُعطوا للمرء فرصة للراحة، والتفكير، والخلوة مع النفس؛ فيتكشّف له حينئذٍ شرُّ مكر الليل والنهار .. وهذا ما لا يريدونه أن يقع .. ما الهدف وما الغرض، من وراء هذا المكر المتواصل ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً﴾ ؛ إخراج العباد من عبادة الله تعالى وحده إلى عبادة الطغاة الأنداد .. عبادة شياطين الإنس والجن ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ ؛ كلاهما المستضعفون، والمستكبرون سواء .. العابدون والمعبودون من دون الله، كلاهما شركاء في العذاب .. لأنهما كلاهما كانا شركاء في هذا المكر، وهذا الوزر العظيم.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ فصلت:26. أي إذا قرئ القرآن، أو سمعتم آياته تُتلى فارفعوا أصواتكم، وصيحوا، واصخبوا .. حتى لا تُفهم كلمات القرآن .. وحتى إذا وصلت إلى مسامع الناس .. تصلهم كأنها تتلى عليهم من بعيد .. مشوشة .. مهمة .. لا تتضح لهم معانيها ومقاصدها .. والقوم. في زماننا. قد تطورت وسائلهم في اللغو والتشويش على الحق ..

فهي لم تعد مقصورة على الصخب ورفع الأصوات .. والضرب بالدفوف والطبول .. بل تعدت ذلك بكثير.. فلغوهم في القرآن الكريم يشمل جميع فنون وأنواع المكرووسائله؛ المشار إليها آنفاً.

هذا جانب، ومن جانب آخر فقد أشار النبي ﷺ إلى زمانٍ تفسو فيه الفتن والأهواء والكذب .. والخيانة .. وتنتفي فيه الأمانة فيما بين الناس بعد القرون الخيرية الثلاثة الأولى، حتى يُقال في بني فلان رجل أمين، ولا أرى زماننا بمنأى عن هذا الزمان، كما في الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "يُصبح الناسُ يتبايعون، فلا يكادُ أحدهم يؤدي الأمانة، فيُقال: إنَّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً، حتى يُقال للرجل: ما أعقله، وما أظرفه، وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمانٍ متفق عليه.

وقال ﷺ: "أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخره الصلاة" [1].

وقال ﷺ: "أول ما يُرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورُبَّ مصليٍّ لا خلاق له عند الله تعالى" [2]. والأمانة تشمل كل ما يجب حفظه ورعايته من شؤون الدين والدنيا سواء، وأشد ما يدخل في معنى الأمانة؛ أمانة بيان العلم والصدع بالحق كاملاً غير منقوص، ولا تحريف، وبخاصة في زمن الحاجة إليه .. وما أقل الذين يُودون هذا النوع من الأمانة!

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ البقرة:159. وقال تعالى: ﴿إِنَّ

<sup>1</sup> أخرجه الطبراني وغيره، السلسلة الصحيحة: 1739.

<sup>2</sup> صحيح الجامع: 1575.

الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿البقرة: 174﴾.

وقال ﷺ: "تكون بين يدي الساعة فتنة كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل فيها مؤمناً، ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً، يبيع أقوامٌ دينهم بعرضٍ من الدنيا" [3]. لضعف. أو ضياع الأمانة. يبيع أحدهم دينه بثمن بخس؛ فلا يتورع أن يجادل عن الطغاة.. أو أن يكتم علماً يجب بيانه.. أو أن يعمل عندهم جلاذاً، يهوي بسوطه على ظهور الأظهار من دعاة التوحيد.. متى جاءه الأمر بذلك.. مقابل دراهم معدودات تُرمى إليه، يقتات بها بالحرام، وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "مَنْ أكل بمسلي أكلةً فإن الله يُطعمه مثلها من جهنم، ومن كُسي برجلٍ مسلمٍ فإن الله ﷻ يكسوه من جهنم" [4].

وقال ﷺ: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب، حتى يشهد الرجل ولا يُستشهد، ويحلف الرجل ولا يُستخلف" [5]. ونحن في زمان. يُوسفي أن أقول. قد فشا فيه الكذب، واشتد فيه الكذب على دين الله تعالى. من أبنائه قبل أعدائه. فأدخلوا فيه ما ليس منه، وأخرجوا منه ما هو منه، وما هو من أصوله وثوابته.. طاعة للطغاة الأثمين تارة.. وطاعة لأهوائهم وتحزباتهم الباطلة تارة أخرى.

<sup>3</sup> صحيح سنن الترمذي: 1788.

<sup>4</sup> صحيح الأدب المفرد: 179.

<sup>5</sup> صحيح سنن الترمذي: 1874.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ﴾ الأنعام:21.

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "من كَذَّبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" البخاري.

كل ذلك مما زاد من ضراوة البلاء والفتن على الناس .. وزاد من ظلمة الظلام، ومن أمدّه .. ظلمات بعضها فوق بعض .. وغيشاوة فوق غشاوة، تحجب النور عن الأبصار والبصائر سواء .. وتزيدها عي على عي .. وضلالاً على ضلال .. وتُحيل بينها وبين الاهتداء إلى مواطن الحق والنور .. فزُرِعَتْ في دروب الناس جبال من الأشواك والشكوك، والشبهات، والأراجيف، والسدود، والحواجز التي تصدهم عن متابعة الحق .. وعن معرفته على حقيقته كما أنزل على محمد ﷺ .. ومن نجح في اختراق الأطواق والحواجز .. تلقفته سياط وسجون الطغاة الأثمين لتفتنه عن دينه .. وتُكْمِل المهمة؛ مهمة الصِدِّ عن دين الله .. فعاد الدينُ الحقُّ غريباً، محارباً، مستهجنأً، متهمأً، كما بدأ غريبأً، حتى أصبح المتمسك بدينه. لشدة ما يلقي من الكبد والمعاناة. كالقابض على جمرٍ من نار، كما أخبر بذلك النبي ﷺ فقال: "يأتي على الناس زمانٌ، الصابر فيهم على دينه، كالقابض على الجمر" [6]. فكم يصبرُ القابضُ على الجمر على آلام الجمر، وكم يُعاني من الآلام وهو قابض على الجمر .. هكذا القابض على دينه في زمن الغربة .. ولا أرى هذا الزمان ببعيدٍ عن زماننا الذي نعيش فيه.

<sup>6</sup> صحيح سنن الترمذي: 1844.

وقال ﷺ: "إن الإسلام بدأ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء" متفق عليه.

وفي رواية: "إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: مَنْ هم يا رسولَ الله؟ قال: الذين يُصلِحون إذا فسدَ الناس" [7].

وفي رواية، قال: "أناس صالحون في أناسٍ سوء كثير من يعصهم أكثر ممن يطيعهم" أحمد.

وفي رواية، قال: "النزاع من القبائل" [8]. أي الغرباء من كل قبيلة أو قوم أو عشيرة، يُنتزَعون من قبائلهم، فيجتمعون فيما بينهم على ما بينهم من اختلاف في الانتماء القبلي، والقومي، والعرقى، والقطري، واللغوي .. لا يجمعهم سوى الحب لله ولسوله ﷺ، والنصرة لدين الله الحق .. فهؤلاء طوبى لهم، ثم طوبى لهم.

---

<sup>7</sup> أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن، السلسلة الصحيحة: 1273.

<sup>8</sup> صحيح سنن ابن ماجه: 3223.

## تشخيص الدواء:

بعد أن شخصنا الداء وعرفناه، فما هو الدواء .. وما هو العاصم .. وأين الملاذ .. وكيف النجاة .. وما هو السبيل للخلاص من هذا المكر المتواصل الذي يُحيط بنا إحاطة السَّورِ بالمعصم .. وما هو المنهج الحق الذي يجب انتهاجه، واتباعه؟  
هذا سؤال كبير أجيب عنه في النقاط التالية:

**أولاً: اكمال الدين:** اعلم أن الدين الحق قد كمل، وبكماله كمل كل ما يُقربنا إلى الله تعالى، وإلى الجنة، وكل ما يُبعدنا عن الزلل وعن النار .. وقد أبان الله تعالى سبيل المؤمنين، وحض على انتهاجه .. كما أبان وجلَّى سبيل المجرمين، وحذر من انتهاجها .. فلم يحوجنا الله تعالى في شيء . مهما دَقَّ . مما ينفعنا في أمور ديننا ودنيانا إلى سواه .. ولا إلى سوى منهجه وصراطه المستقيم، لنلتمس منه الحلول والدواء لما يواجهنا من مشاكل، وأدواء.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ المائدة:3. فالدين ليس ناقصاً ليكمل نقصانه من مصادر ومشارب أخرى، وإنما هو كامل تام غير ناقص، بشهادة الرب ﷻ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام:153. وهذا من معانيه ولوازمه

بيان الصراط المستقيم، وكذلك بيان سبل أهل الباطل والأهواء بياناً شافياً كافياً  
و افيأ لا لبس فيه ولا غموض.

وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ البلد:10. أي هدينا الإنسان، وبيننا له، ودللناه  
على طريق الخير الحاوي والجامع لكل خير، وعلى طريق الشر الحاوي والجامع لكل شر  
.. فهو لا يحتاج لكي يعرف الخير من الشر، النافع من الضار، الحق من الباطل .. إلى  
غير دين الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى  
لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل:89. وقوله تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ ؛ عام لكل شيء؛ أي فيه تبيان  
لكل ما يضر، وكل ما ينفع من أمور الدين والدنيا؛ ما يضر لكي نجتنبه ونحذره، وما  
ينفع لكي نأتيه ونلتزمه.

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا  
قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه" [9].  
وفي رواية: "ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله تعالى إلا وأمرتكم به".  
وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "تركنا رسول الله ﷺ وما في السماء طائر يطير  
بجناحيه إلا عندنا منه علم" [10]. وهذا من قبيل التمثيل والتقريب؛ فإذا كان ما من  
طائر يطير بجناحيه إلا وقد بين لنا النبي ﷺ منه علماً، فكيف بما هو أجل وأعلى من  
ذلك من أمور الدين والدنيا؛ فهو ﷺ أشد لها تبياناً وإيضاحاً.

<sup>9</sup> السلسلة الصحيحة: 2866.

<sup>10</sup> صحيح موارد الظمان: 62.

**ثانياً: اتباع أسلوب الوقاية ما أمكن:** قبل الانكباب على الدواء، لا بد من نوع

وقاية تحجب الإنسان عن الضرر، وأسبابه، فالدواء ينفع مع توقف أسباب الداء، وروافد ومغذيات الداء .. فالمضادات الحيوية لا تعمل عملها ما دام الجسد يتلقى يومياً جرعات من الجراثيم، تفوق قوة المضاد الحيوي .. كذلك العقل لا يستفيد كثيراً عندما يتلقى قيم الحق، وهو في المقابل يتلقى كمّاً كبيراً من المفاهيم، والقيم، والأفكار الخاطئة الباطلة .. فما بالك إذا كان لا يتلقى إلا المفاهيم والقيم، والأخلاقيات الخاطئة الباطلة .. ولا يعرف من دنيا القيم والمبادئ والثقافات سوى ما يُلقى إليه من شر .. فحينئذٍ حدث عن حجم التشوهات والتورمات الخبيثة التي يستعصي علاجها، ولا حرج .. وحدث عن فقدان المناعة الفكرية والثقافية، والقيمية عند الناس، ولا حرج!

الناس يقلقون للإيدز العضوي . وحق لهم أن يقلقوا . بينما كثير منهم لا يُبالي أن يُصاب بالإيدز الفكري؛ الذي يفقده المناعة من مقاومة أي فكرة خاطئة، فتارة تراه يترنح يمنة مع أهل اليمين، وتارة أخرى يترنح يسرة مع أهل اليسار، ولا يمانع أن يتقدم أو يتأخر، فهو حينما قيّد انقاد، وحينما وُجّه توجّه، من دون أدنى مقاومة ولا ممانعة .. أيما فكرة تصدمه يصفق لها، وقد تشطحه أرضاً .. لا يُحسن التمييز بين الصالح منها من الطالح .. ولا بين الخير من الشر، ولا بين العدو من الصديق؛ لأنه فاقد لأصل المناعة التي تمكنه من حسن الاختيار والتمييز، ولعمر الحق هذا النوع من الإيدز لهو أشد خطراً وضرراً على الإنسان أضعاف مضاعفة من الإيدز العضوي!

من هنا جاء الإسلام بقاعدة ذهبية عظيمة؛ ألا وهي قاعدة "سد الذرائع"، والتي تعني أن كل ما يؤدي إلى شرٍّ، فله حكم الشر من حيث الحظر والمنع .. وتعني وأد الشرّ قبل ظهوره وانتشاره .. وتعني حسم مادة الفساد بقطع واستئصال وسائله .. فهي تنظر إلى الوسائل على اعتبار مآلاتها، وليس على اعتبار إباحتها وحسب، بغض النظر عن المآلات التي ستؤول إليها؛ سواء كانت حقاً أم باطلاً!

فالإسلام لا يقول لا تباعه جربوا الشرّ، أفسحوا الطريق للشر، امنحوا الشرّ الحرية المطلقة .. قننوا له القوانين .. واصنعوا له الدعايات التي تزخره وتزينه في أعين الناس .. ثم بعد ذلك من وقع منكم في الشر سوف يُعاقب، ويُؤخذ بذنبه .. حاشاه؛ الإسلام لا يفعل ذلك .. ولا يرضى بذلك، وإنما يمنع الشرّ وأسبابه، ويسهل الخير، وأسبابه .. ثم هو بعد ذلك يُعاقب على من تكلف البحث والتنقيب عن الشر.

لماذا عندما تهب عاصفة رملية، تحمل معها أوساخ الشوارع، الكل يفزع إلى نوافذ بيته ليحكم إغلاقها جيداً، حتى لا يتسرب إلى البيوت شيئاً من تلك الرمال والأوساخ، بينما عندما يرسل شياطين الإنس والجن سمومهم، وكفرهم، وإلحادهم، وفسوقهم، وإباحيتهم .. إلى بيوت الناس .. عبر مئات القنوات التلفزيونية .. الكل يفتح لها الأبواب والنوافذ .. علماً أنها أشد فتكاً وضرراً على الناس وبيوتهم من الرمال والأوساخ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء:32. لم يقل الرب ﷻ ولا تزنوا، وإنما قال: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَىٰ﴾؛ أي لا تأتوا الأسباب، ولا تفتعلوا الوسائل التي تُقربكم من الزَّيْنَىٰ، فتلك الأسباب والوسائل محرمة وممنوعة. كحرمة الزنى. لأنها تُفضي إلى الزَّيْنَىٰ.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء:36. فالسمع، والبصر، والفؤاد هي وسائل التلقي والفهم، التي تتلقى المعاني، والأفكار، والقيم، والمبادئ من مصادر بيّتها .. فالإنسان مسؤول ومحاسب عنها؛ هل ترك لها العنان لتتلقى المعاني، والقيم، والمبادئ الشريفة الباطلة .. أم أنه صانها من كل ذلك .. وأطلق لها العنان في اتجاه واحد؛ اتجاه تلقي معاني وقيم، ومبادئ الحق والخير.

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته" متفق عليه. فمن لم يكن له رعية من خارج نفسه يرعاها، فهو راعٍ على نفسه، وجسده، وجوارحه، هل صانها، وأطاع الله فيها، ووجهها فيما يرضي الله ﷻ، أم أنه عصاه فيها، وأطلق لها العنان في معصية الله، لتقع في الموبقات، والمهلكات، كما في الحديث: "لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربعٍ: .منها .وعن جسمه فيما أبلاه" [11].

وعن جابر، أن عمر بن الخطاب، أتى رسولَ الله ﷺ بنسخةٍ من التوراة، فقال: يا رسولَ الله! هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه النبي ﷺ يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل! ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ [12]؟! فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ، فقال: أعودُ بالله من غضبِ اللهِ وغضبِ رسوله، رضينا بالله رباً، وبالإسلام

<sup>11</sup> رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

<sup>12</sup> أي من الغضب؛ وذلك لأن الأمر له علاقة بالعقيدة والتوحيد، وبالتلقي والاتباع، وممن يؤخذ الدين .. وممن تؤخذ الأحكام والقيم والمبادئ، من الله تعالى ورسوله فيتحقق حينئذٍ التوحيد، أم من مصادر أخرى، فيكون حينئذٍ الشرك والتنديد.

ديناً، وبمحمدٍ نبياً. فقال رسولُ الله ﷺ: "والذي نفسُ محمدٍ بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتُم عن سواءِ السَّبيل، ولو كان حياً وأدرَكَ نبوتي لا تَبْعني" [13].

جُوبِه فعل عمر بهذه الشدة، وبهذا الغضب؛ لأن المسألة تتعلق بالمصدر الذي تُتلقَى منه العقائد، والقيم، والمفاهيم، والشرائع .. فالقضية من هذا الجانب لها مساس بالعقيدة والتوحيد؛ لذا قد اشتد غضب النبي ﷺ مما حمل عمر على أن يجدد العقد والعهد: "أعوذُ بالله من غضبِ اللهِ وغضبِ رسوله، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً".

قلت: هذا فيمن يُقبِل على موسى عليه السلام ويترك محمداً ﷺ، أو يُقبِل على شيء مما أنزل على موسى عليه السلام، ويترك ما أنزل على محمد ﷺ .. فكيف بمن ينصرف عن محمد ﷺ، وما أنزل عليه، إلى السَّقَط من القيم والمبادئ الضالة؛ كالبعثية، والاشتراكية، والشيوعية، والديمقراطية، والليبرالية، والعلمانية، وغيرها من الشعارات والمسميات التي تنطوي على معانٍ وعقائد باطلة كافرة .. لا شك حينئذٍ أن من يفعل ذلك، ليس له حظ في الإسلام، وإن تسمّى بأسماء المسلمين، أو زعم بلسانه ألف مرة أنه من المسلمين!

وعن جابر، عن النبي ﷺ حين أتاه عمر، فقال: إنا نسمع أحاديثَ من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: "أمتهم وكون أنتم كما تمهؤن اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقيةً، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي" [14].

<sup>13</sup> رواه الدارمي، مشكاة المصابيح: 194، وانظر صحيح الجامع الصغير: 5308.

لذا لأجل قطع دابر الشرق قبل حصوله واستفحاله، قد ورد النهي عن مجالسة أهل البدع والأهواء، وعن الإصغاء إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام:68.

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ النساء:140. المنافقون هم الذين يرضون لأنفسهم الجلوس مع المستهزئين بآيات الله تعالى من غير إكراه، ولا إنكار ولا قيام، والكافرون هم المستهزون الذين يُباشرون الاستهزاء بآيات الله تعالى.

وفي الحديث، قال رسول الله ﷺ: "من وقَّرع صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام" [15].

وقال ﷺ: "مثلُ الجلّيسِ الصّالحِ والجلّيسِ السّوءِ؛ كحاملِ المسكِ ونافخِ الكبيرِ؛ فحاملِ المسكِ إمّا أن يُحذيكَ، وإمّا أن تُبتاعَ منه، وإمّا أن تجدَ منه ريحاً طيبةً، ونافخُ الكبيرِ؛ إمّا أن يُحرقَ ثيابكَ، وإمّا أن تجدَ ريحاً خبيثةً" متفق عليه.

---

<sup>14</sup> رواه أحمد وغيره، مشكاة المصابيح:177. قال عنه الشيخ ناصر: حديث حسن. وقوله "أمتهوكون أنتم": أي أمحتارون ومترددون أنتم في دينكم، فلا تعرفون الحق من الباطل، كما كان اليهود والنصارى محتارين في دينهم؟!

<sup>15</sup> مشكاة المصابيح:187. قال الشيخ ناصر في التخرّيج: قد يرتقي الحديث بمجموع طرقه إلى درجة الحسن.

وفي الأثر عن ابن مسعود: من أحب أن يُكرّم دينه فليعتزل مجالسة أصحاب الأهواء فإن مجالستهم ألصق من الجرب.

وعن الحسن البصري قال: "لا تُجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك".

وعن سفيان الثوري قال: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار، وإما أن يقول والله ما أبالي ما تكلموا وإني واثق بنفسي، فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه أيّاه.

وعن الأوزاعي قال: لا تمكّنوا صاحب بدعة من جدل فيورث قلوبكم من فتنة وارتياباً.

وعن الضحاك قال: رأيت عمر بن عبد العزيز يسجن القصاص ومن يجلس إليهم.

وعن مجاهد قال: دخل قاصٌّ فجلس قريباً من ابن عمر فقال له قم فأبى أن يقوم فأرسل إليه شرطياً فأقامه [16].

وغيرها كثير من النصوص، والآثار التي تنهى عن مجالسة أهل الأهواء، والضلالة والبدع، وعن الإصغاء إليهم، ومع ذلك كثير من الناس يحملهم الفضول، وحب الاطلاع. كما يزعمون. على مجالسة أهل الأهواء والبدع، وعلى الإصغاء إليهم.. فيتلوثون، بل ويحترقون.. وبخاصة عندما يجدون صعوبة في الرجوع إلى الوراء، أو الخلاص مما قد علق بهم من شهوات وأهواء.

<sup>16</sup> انظر كتاب البدع والنهي عنها، لمحمد بن وضاح القرطبي.

ومن هؤلاء بعض من اشتغل بعلم الكلام، فسلك أوديته وسراديبه، فضاع،  
وأضاع، أو كاد، يقول: محمد بن عمر الرازي في كتابه أقسام اللذات:

وأروأحنا في وحشةٍ من جسومنا

وحاصلُ دُنيانا أذى ووبال

ولم نَسْتَفِدْ من بحثنا طولَ عُمُرنا

سِوى أن جمعنا فيه: قيلَ وقالوا

ولقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي غليلاً، ولا  
تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطُرُقِ طريقة القرآن.

وكذلك قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: إنه لم يجد  
عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، حيث قال: لعمرى لقد طفت المعاهد كلها  
وسيرت طُرُقِي بين تلك المعالم فلم أَرِ إلا واضِعاً كَفَّ حائرٍ على ذَقْنٍ أو قارعاً سِنَّ نادم.

وكذلك قال أبو المعالي الجويني: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عَرَفْتُ أن الكلام  
يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به. وقال عند موته: لقد خضتُ البحرَ الخضمَّ، وخَلَّيْتُ أهل  
الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل  
لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدةٍ أُمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور!

وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي، لبعض الفضلاء: ما تعتقد؟ قال: ما يعتقدُه  
المسلمون، فقال: وأنت منشح الصدر لذلك مستيقنٌ به؟ فقال: نعم، فقال: أشكر الله  
على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقدُ، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضلت  
لحيته!

وقال آخر. محمد بن سالم بن واصل الحموي: أضطجِعُ على فراشي، وأضع الملقفة

على وجهي، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلُعَ الفجرُ، ولم يترجَّح عندي منها شيء!!

وكذلك الغزالي رحمه الله، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ، فمات وصحيح البخاري على صدره [17].

ومنه يُعَلَم خطأ وخطورة الدعاوي التي تُثار بين الفينة والأخرى، والتي تُطالب بضرورة الانفتاح على ثقافات الآخرين، وعلى دين وقيم ونظام الآخرين .. بزعم التبادل الثقافي .. والتي ظاهرها يعني توسيع المعارف والمدارك كما يزعمون .. وباطنها يعني بث السموم، وإلقاء مزيد من الشبهات والأهواء، والانحرافات، وزبالات الأفكار في عقول ورؤوس المسلمين، وفي مجتمعاتهم .. ليصدوهم بها عن دينهم الحق!

لكل جانب من جوانب الحياة فيه خير وشر، بما في ذلك الثقافات؛ فخير الثقافات الإسلام هو السبَّاق إليه، وإلى بيانه، والدعوة إليه، فقد كفانا مؤنة استجدائه، أو البحث عنه عند الآخرين، أما شرّها فينبغي أن يُعرَف من خلال منظور الإسلام ذاته لا غير، فالإسلام دلٌّ على شُرور الثقافات الأخرى بأقصرو أنفع الطرق، كي لا يقع الإنسان في شباكها وضررها، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأنعام: 55. فنتفقه في سبيل المجرمين من خلال نظرة القرآن، وعرض القرآن وتفصيله لسبيل المجرمين، لا غير.

أما معرفة سبيل المجرمين من خلال المجرمين ذاتهم، ومن خلال ثقافات ومراجع المجرمين ذاتهم بعيداً عن هدي القرآن، وتوجهات السنة النبوية .. فهذا مسلك صعب وطويل، وشائك .. محفوف بالمخاطر، والانعطافات القاتلة .. قلَّ من يسلم وينجو منه من غير تشوهات وتورمات يصعب علاجها!

<sup>17</sup> تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، ص 128.

**ثالثاً: توحيد مصادر التلقي:** على قدر ما تنجح الأمة في توحيد مصادرها التي

تتلقى منها العقائد، والقيم والمبادئ على قدر ما تتوحد كلمتها، ويتراص صفها، ويصعب على شياطين الإنس والجن أن يجدوا لأنفسهم ثغرة أو فرجة يتسللون منها، ويفرقون الصف من خلالها.

العدو بكل أطيافه وراياته يحرصون أشد الحرص على أن يربوا الشعوب على مصادرهم ومناهجهم؛ لذا تراهم ينفقون مئات المليارات من أجل التحكم بوسائل الإعلام والنشر، المسموعة والمرئية، والمقروءة .. واحتكارها لأنفسهم دون الآخرين .. وما ذلك إلا لرغبتهم الشديدة في حمل الشعوب على أن يسيروا في السكة التي يريدونها، ويرونها، كما فعل الطاغية فرعون من قبل: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر: 29. فلا يريدون لشعوبهم أن يروا شيئاً إلا ما يرونه هم دون غيرهم.

وهم لو فشلوا في سعيهم هذا عن طريق المال ووسائل الإعلام لا يترددون ساعة في إعلان الحروب على الأظهار والموحدين، وعلى بلدانهم، بزعم أن المسلمين يريدون أن يبدلوا طريقتكم في العيش والحياة القائمة على الإلحاد والكفر، والتحلل من قيم الدين والأخلاق، كما قال سلفهم الطاغية فرعون من قبل: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ غافر: 26

. وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ طه: 63. فمن أجل الخوف على طريقتهم المثلى من حجة وبراهين الحق .. فهم لا يترددون لحظة من توجيه التهم الباطلة للحق .. كما لا

يترددون عن إعلان الحروب لو دعت الحاجة إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة:217.

وإذا كان الجاهليون . بكل أطيافهم وتجمعاتهم . يُجاهرون بمراجعهم ومصادرهم، ويُفخرون بها .. ويُقاتلون دونها .. على ما فيها من باطل وزور.. ويحملون الشعوبَ عليها حملاً وقهراً من خلال مكر الليل والنهار.. فمن باب أولى أن يُجاهر أهل الحق بمراجعهم ومصادرهم، ويُباهوا بها، ويُقاتلوا دونها .. فأَي الفريقين أولى بالحق والمباهات والافتخار والمجاهرة، من تنتهي مراجعه إلى الله ورسوله ﷺ .. أم مَنْ تنتهي مراجعه إلى الطاغوت والشيطان .. لا يستويان مثلاً، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام:81.

**رابعاً: تحديد المنهج:** بعد هذا التمهيد الوارد أعلاه نُشرع . بإذن الله . في بيان المنهج العاصم الحق الذي يجب اتباعه، والرجوع إليه، والاقتصار عليه دون غيره، والذي فيه تتحقق السلامة والنجاة للعباد في الدنيا والآخرة، هذا المنهج هو المنهج الذي يقتصر على الرجوع والعكوف على الكتاب، والسُّنة، على ضوء فهم السلف الصالح، من القرون الثلاثة الأولى المشهود لها نصّاً بالخيرية والفضل.

هذا تقرير موجز عام وهام، يحتاج إلى تفصيل وتدليل.

**أما الدليل على وجوب الرجوع إلى القرآن الكريم:** فهي أكثر من أن تُحصَر في

هذا الموضع، منها، قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة:2.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ

عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فصلت:44.

وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه:123.

قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه أن لا يضلَّ في الدنيا

ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية [18].

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "القرآن حجة لك أو عليك" [19].

وقال ﷺ: "كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به" مسلم.

وقال ﷺ: "كتابُ الله عزوجل، هو حبلُ الله، من اتَّبعه كان على الهدى، ومن تركه

كان على الضلالة" مسلم.

وفي رواية: "كتابُ الله فيه الهدى والنور، من استمسك به، وأخذ به، كان على

الهدى، ومن أخطأه ضلَّ" مسلم.

وقال ﷺ: "كتاب الله؛ هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض" [20].

وعن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا

تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران: 103، قال القرآن.

<sup>18</sup> تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، ص15.

<sup>19</sup> صحيح الترغيب والترهيب:189.

<sup>20</sup> صحيح الجامع: 4473.

وعنه قال: إن هذا الصَّراطُ مُحْتَضَرٌ؛ تحضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله هذا هو الطريق، هلمَّ إلى الطريق، فاعتصموا بحبل الله؛ فإن حبلَ الله هو القرآن.

**أما الأدلة على وجوب اتباع السنة، والرجوع إليها**<sup>[21]</sup>: فهي كثيرة، منها قوله

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ الحجرات:1-2. فإذا كان مجرد رفع الصوت يُخشى على صاحبه أن يحبط عمله، ولا يحبط العمل إلا الشرك، فكيف بمن يرفع حكمه وقوله على حكم وقول النبي ﷺ .. لا شك أنه أولى بالانتكاس وحبوط العمل، والعياذ بالله.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ الأحزاب:36. فمن الله تعالى التنزيل، وعلى رسوله ﷺ البيان، وعلينا الاستسلام والالتزام، من غير تقديم، أو تعقيب، أو اختيار.. وهذا من لوازم صحة الإيمان.

---

<sup>21</sup> السُّنَّةُ كل ما صحَّ عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، يترتب عليه حكم شرعي؛ كالوجوب، والمندوب، والإباحة، والحرمة، والكرهية .. وأقوال، وأفعال، وتقريرات النبي ﷺ كلها يترتب عليها أحكام شرعية، إلا ما خرج منها على وجه العادة، كركوبه على الدابة، واستظلاله في ظل شجرة، أو أن يفتح عن صدره الشريف ليدفع عن نفسه شدة الحر، أو كتبوله في وعاء خاص، ونحو ذلك من الأعمال التي لها صفة العادة، التي لا يُستنبط منها أحكام شرعية .. صلوات ربي وسلامه عليه.

أما على طريقة الديمقراطية والديمقراطيين الذين يُخضعون كل شيء للاختيار والتصويت، وإرادة ورغبة الأكثرية، بما في ذلك قضاء الله ورسوله ﷺ .. فهؤلاء على شَرٍّ عظيم، وهم أقرب للكفر منهم للإسلام.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران:31. فعلى قدر المتابعة للسنة تكون محبة العبد لربه، وعلى قدر المحبة تكون المتابعة للسنة، فكل منهما لازم وملزوم للآخر.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:59[22].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ [23] أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور:63.

---

<sup>22</sup> أفادت الآية أموراً، منها: وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ، وأن طاعة النبي ﷺ من طاعة الله ﷻ، ومنها: أن الرد إلى الله ورسوله يكون بالرد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ، ومنها: أن السنة محفوظة، وهي من الذكر المحفوظ والمعني في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر:9. إذ يستحيل أن يأمر الله تعالى بالرد إلى شيء ثم يكون هذا الشيء غير محفوظ ولا ثابت ولا بَيِّن، ومنها: أن الكتاب والسنة فيهما حل لكل نزاع. علم ذلك من علم وجهل ذلك من جهل. فحاشى الخالق ﷻ أن يأمر ببرد النزاع إلى شيء ثم لا يكون في هذا الشيء حل لذلك النزاع، ومنها: أن من لوازم وشروط صحة الإيمان رد النزاعات إلى الكتاب والسنة، فمن انتفى عنه رد التنزع إلى الكتاب والسنة، وعدل عنهما إلى ما سواهما، انتفى عنه مطلق الإيمان.

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [24] النساء: 65.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ؛ أي خالفوا الله ورسوله ﷺ، ووقفوا في الشِّقِّ المغاير والمخالف للشِّقِّ الذي يرضي الله ورسوله ﷺ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنفال: 13.

---

<sup>23</sup> أي شرك، قال الإمام أحمد: "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾. وجعل يكررها، ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزبغ فيزيغ قلبه فيهلكه.

وقيل له: إن قوماً يدعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان! فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره! قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ وتدري ما الفتنة؟ الكفر. قال الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة: 217. فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ، وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي " ا- هـ.

<sup>24</sup> قال ابن القيم في تفسير الآية: "أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً النفي قبله، عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع، وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج؛ وهو ضيق الصدر، وتنشج صدورهم لحكمه كل الإنشراح وتنفسح له كل الانفساح، وتقبله كل القبول. ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة، وانتفاء المعارضة والاعتراض" ا- هـ. عن كتاب التبيان في أقسام القرآن: 270.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله" متفق عليه.

وقال ﷺ: "كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى"، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى" البخاري.

وقال ﷺ: "يوشك الرجل متكئاً على أريكته، يُحدِّث بحديثٍ من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله ﷻ، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرامٍ حرّمناه، ألا وإن ما حرّم رسولُ الله ﷺ مثل ما حرّم الله" [25].

وعن أبي سلمة أن أبا هريرة، قال لرجل: يا ابن أخي، إذا حدثتكَ عن رسولِ الله ﷺ حديثاً فلا تضرب له الأمثال" [26]. أي لا تستدل على قوله ﷺ بقول الحكماء، والفلاسفة، والفقهاء، وكأنه بحاجة إلى أن يُعضد قوله بأقوال وموافقة الآخرين.. فالنبي ﷺ لا يحتاج إلى شيء من ذلك، بل الآخرون هم الذين يحتاجون إلى التماس مدى موافقة كلام النبي ﷺ لكلامهم؛ لأن كلامه، والثابت من سنته هو الحكم، وهو

---

<sup>25</sup> صحيح سنن ابن ماجه: 12. قلت: وفي الحديث رد على طائفة القرآنيين الذين يجحدون السنة، ويرفضون أن ينقضوا لشيء من تعاليم الدين إلا ما هو ثابت في القرآن الكريم وحسب، وهؤلاء عندي زنادقة مرتدون؛ لأنهم. في حقيقة أمرهم. مكذبون وجاحدون للقرآن والسنة معاً، فمن جحد السنة لزمه ولا بد أن يجحد القرآن الكريم، وأن يرد عشرات الآيات القرآنية التي تُوجب الرجوع إلى سنة النبي المصطفى ﷺ، والاحتكام إليها.

<sup>26</sup> صحيح سنن ابن ماجه: 20.

الميزان الذي به يُعرف الحق من الباطل، والصواب من الخطأ من كلام ومواقف الآخرين.

ومما تقدم يُعلم كذلك بطلان وخطورة التعصب المذهبي؛ التعصب للمذاهب الأربعة وغيرها، والذي من لوازمه متابعة قول المذهب في الخطأ والصواب، وفي الحق والباطل سواء، وكذلك تقديم قول المذهب على قول النبي ﷺ، والثابت من سنته ﷺ!

**. الأدلة على فضل الصحابة والتابعين لهم بإحسان في القرون الثلاثة**

**الأولى، وأهمية تقديم قولهم وفهمهم على قول وفهم من جاء بعدهم.**

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء: 115. والمراد بـ ﴿سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الصحابة والتابعون لهم بإحسان من القرون الثلاثة الأولى بخاصة، والتابعون لهم بإحسان، السائرون على منهجهم وخطاهم من القرون التالية بعامة، وإلى يوم القيامة .. فمن تنكّب طريق سبيل المؤمنين هؤلاء، وشاقّهم، فوقف في الشقّ المقابل لهم معانداً لهم ومنهجهم، فهذا جزاؤه ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ .

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف: 108. والذين اتبعوا محمداً ﷺ هم أصحابه والتابعون لهم بإحسان، وإلى يوم الدين، فهؤلاء وصفهم الله تعالى أنهم يدعون إلى الله تعالى على بصيرة وعلم وفقه .. ومفهوم المخالفة يقتضي أن ما سواهم فإن دعوتهم تتسم بالعمى والجهل، والضلالة.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ ؛ أي بمثل ما آمن به النبي ﷺ وأصحابه ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ، عن الإيمان بمثل ما آمن به النبي ﷺ وأصحابه ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة:137.

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة:100. والله تعالى إذ رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، فهو سبحانه وتعالى رضي عنهم لسلامة دينهم واعتقادهم، وفهمهم، والتزامهم .. فليس بين الله تعالى وبين أحد من خلقه نسب، ولا اعتبار عند الله تعالى إلا للتقوى والاستقامة والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتِكُمْ﴾ الحجرات:13. وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى بي، وليس كذلك؛ إن أوليائي منكم المتقون، من كانوا وحيث كانوا" [27].

ونحوه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح:18.  
عن جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، قال لنا النبي ﷺ: "أنتم خير أهل الأرض" متفق عليه.

---

<sup>27</sup> أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، رقم:212. وقال الشيخ ناصر في التخریج: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات.

وقال ﷺ: "اقتدوا باللذنين من بعدي؛ أبي بكرٍ، وعُمَرُ" [28]. وفي رواية: "إني لا

أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذنين من بعدي"؛ وأشار إلى أبي بكرٍ وعُمَرَ [29].

وقال ﷺ: "فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كلَّ مُحدثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ" [30].

وقال ﷺ: "أكرموا أصحابي فإنهم خياركم" [31]. فإنهم خياركم لسلامة دينهم واعتقادهم، ولشرف صحبتهم للنبي ﷺ، وسبق جهادهم ونصرتهم لدين الله.

وقال ﷺ: "إن الله تبارك وتعالى اختارني، واختار لي أصحاباً؛ فجعل لي منهم وزراء، وأنصاراً، وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرفٌ، ولا عدلٌ" الحاكم، ووافقهُ الذهبي. الصرف النافلة، والعدل الفرض؛ أي لا يقبل منه عملاً.

وعن ابن عباس، قال: "لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة. يعني مع النبي ﷺ. خير من عمل أحدكم أربعين سنة". وفي رواية: "خير من عبادة أحدكم عُمره".

<sup>28</sup> رواه ابن ماجه والترمذي، صحيح سنن الترمذي: 2895.

<sup>29</sup> صحيح سنن الترمذي: 2896.

<sup>30</sup> صحيح سنن أبي داود: 3851.

<sup>31</sup> رواه النسائي، وأحمد، والحاكم، وصححه الشيخ ناصر في تخرج المشكاة: 6003.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمدٍ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد رضي الله عنه فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يُقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيئاً".

ثم تأتي أهمية الالتزام بهذا القيد؛ قيد تقييد الأفهام بفهم الصحابة فيما اختلّف فيه من شؤون الدين، إضافة إلى دلالة النص عليه. كما أفادت النصوص أعلاه. فإن هذا القيد عاصم ومانع يمنع من التفرق في الدين مذاهب شتى لا يُحصى عددها، ما أنزل الله بها من سلطان، إذ في حال غياب الالتزام بهذا القيد، يحق حينئذٍ لكل مسلم أن يفهم الدين على طريقته، وأن يشكل مذهباً خاصاً به وبفهمه، وكل امرئٍ له أن يقول للآخر كما أن فهمي لا يلزمك، كذلك فهمك لا يلزمني، وبالتالي يستقل كل امرئٍ بفهمه ومذهبه، وهكذا يُفتح باباً للتفرق في الدين لا يمكن غلقه، ولا احتواء آثاره وأضراره، فنقع فيما وقعت به الأمم من قبل فنضل ونهلك، كما ضلوا وهلكوا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ الأنعام:159.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الروم:31-32.

مراعاة التفاضل فيما بين الصحابة بحسب السبق والأقدمية في نصرة

الدين، وكذلك بحسب ترتيب القرون، الأول فالأول.

في حال غياب الدليل من الكتاب والسنة، وحصول الخلاف فيما بين الصحابة على مسألة من المسائل، فمن عوامل الترجيح بين الأقوال والأفهام تقديم قول وفهم السابق في الإسلام والنصرة على اللاحق، هذا الذي دلت عليه أدلة الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الحديد:10. فلا يستويان في المنزلة والفضل والأجر، كما لا يستويان في الدين، والفهم والإيمان.

وفي الحديث، عن أبي سعيد الخدري، قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبّه خالد، فقال رسولُ الله ﷺ: "لا تسبوا أحداً من أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل جبلٍ أحيدٍ ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه" متفق عليه.

وفي رواية عن أنس، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيامٍ سبقتمونا بها؟! فبلغنا أن ذلك ذكّر للنبي ﷺ، فقال: "دَعُوا لِي أَصْحَابِي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثلَ أُحدٍ أو مثلَ الجبالِ ذهباً ما بلغتم أعمالهم" [32].

<sup>32</sup> أخرجه أحمد، السلسلة الصحيحة: 1923. قلت: يقول النبي ﷺ في خالد ﷺ: "خالدٌ سيفٌ من سيوفِ اللهِ ﷻ، نعم فتى العشيرة" السلسلة الصحيحة: 1826. ومع ذلك لما حصل خلاف بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ﷺ يُنكر النبي ﷺ على خالد، ويقول له ولغيره ممن تأخر إسلامهم وتأخرت

وعن أبي الدرداء، قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: "أما صاحبكم فقد غامر". فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك، فقال: "يغفر الله لك يا أبا بكر". ثلاثاً، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم، فجعل وجه النبي ﷺ يتمرّ، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي ﷺ: "إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت. وفي رواية: إني قلت: يا أيها الناس، إني رسولُ الله إليكم جميعاً، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي، مرتين " فما أؤذي بعدها. البخاري.

فتأمل كيف أن النبي ﷺ فرّق بين أبي بكر وعمر، وعمر هو هو، لكن لما كان أبو بكر هو الأسبق في الإيمان، والاستجابة، والنصرة، غضب النبي ﷺ له هذا الغضب، وقال لعمر، ولغيره من الصحابة: "فهل أنتم تاركوا لي صاحبي".

---

نصرتهم للإسلام عن عبد الرحمن بن عوف: "دَعُوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحدٍ أو مثلَ الجبالِ ذهباً ما بلغتم أعمالهم!"

أقول: هذا التفضيل ينبغي أن يُراعى عند عملية التلقي والاستدلال؛ فيُقدم قول وفهم واجتهاد السابق من الصحابة على اللاحق المتأخر منهم .. فمراعاة فهم واجتهاد السابق على اللاحق من الصحابة عامل من عوامل الترجيح عند حصول الاختلاف .. للأدلة الواردة أعلاه وغيرها .. وما أقلَّ من يتنبه لهذا المنهج!

وكذلك قوله ﷺ: "خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُقُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمْنُ" متفق عليه. والقرن الأول هو قرن الصحابة، ثم القرن الثاني؛ وهو قرن التابعين، ثم القرن الثالث؛ وهو قرن تابعي التابعين.

وعن عائشة قالت: سأل رجلُ النبي ﷺ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قال: "الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّلَاثُ" مسلم.

وقال ﷺ: "احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يَفْشُوا الكذب، حتى يشهد الرجلُ ولا يُسْتَشْهَدُ، ويحلف الرجلُ ولا يُسْتَحْلَفُ" [33].

وقال ﷺ: "تسمعون، ويُسمَعُ منكم، ويُسمَعُ ممن سمع منكم" [34]. وفي هذا الحديث تزكية لسمع وفهم وبلاغ الصحابة الذين يسمعون من النبي ﷺ، وتزكية لسمع وفهم وبلاغ التابعين الذين يسمعون من الصحابة، وتزكية لسمع وفهم وبلاغ من يسمع ممن سمع من الصحابة؛ وهم تابعي التابعين.

### عوامل الترجيح:

يتم الترجيح بين الأقوال بحسب تسلسل المعايير التالية:

**أولاً:** تقديم القول الموافق للدليل من الكتاب والسنة، فإذا صح الدليل من الكتاب أو السنة على قول من الأقوال، لا يُلتفت إلى غيره مهما علا كعب صاحبه،

<sup>33</sup> صحيح الجامع: 206.

<sup>34</sup> صحيح سنن أبي داود: 3107.

لقلوه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾ الأحزاب:36. ولقلوه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الحجرات:1.

ولقلوه تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور:63.

ولقلوه تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران:31.

وعن أبي سلمة أن أبا هريرة، قال لرجل: يا ابن أخي، إذا حدثتكَ عن رسولِ الله ﷺ حديثاً فلا تضرب له الأمثال [35].

وعن ابن عمر، أن رسولَ الله ﷺ قال: "لا تمنعوا إماءَ الله أن يصلين في المسجد". فقال ابنُ له: إنا لنمنعنَّ فقال: فغضب غضباً شديداً، وقال: أحدث عن رسولِ الله ﷺ وتقول إنا لنمنعنَّ [36]؟!

وكان ابن عباس يحدث عن النبي ﷺ فيقول: قال رسولُ الله ﷺ، فيقال له: ولكن قال أبو بكر، وعمر، فيقول لهم: تكاد السماء أن تمطر عليكم حجارة: أقول لكم قال رسولُ الله، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟!

<sup>35</sup> صحيح سنن ابن ماجه: 20.

<sup>36</sup> صحيح سنن ابن ماجه: 16.

وعن عبادة بن الصامت أنه غزا مع معاوية أرضَ الروم، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كِسَرَ الذهب بالدنانير، وكِسَرَ الفضة بالدراهم، فقال: يا أيها الناس إنكم تأكلون الربا، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "لا تبتاعوا الذهب بالذهب، إلا مثلاً بمثل، لا زيادة بينهما ولا نَظْرَةً".

فقال معاوية: يا أبا الوليد لا أرى الربا في هذا إلا ما كان من نظرة. فقال عبادة: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحديثي عن رأيك، لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك عليّ فيها إمرة" [37].

أشار الإمام مالك إلى قبر الحبيب المصطفى ﷺ، وقال: كلُّ يُوْخَذَ منه ويُرد عليه ما عدا صاحب هذا القبر.

**ثانياً:** إن خفي الدليل المحكم والصریح، وتباينت الأقوال فيما بين العلماء، يُقدّم أقرب الأقوال والأفهام منها إلى مراد النص. من الكتاب والسنة. ودلالته، لأن الحجة الشرعية في قال الله، قال الرسول ﷺ.

**ثالثاً:** فإن خفي النص، وخفي القول الأقرب إلى مراد ودلالة النص، ثم بعد ذلك تباينت أقوال الصحابة فيما بينهم يُقدّم قول وفهم من كان له السبق في الإسلام، والنصرة، كما تقدم الدليل على ذلك أعلاه.

**رابعاً:** فإن خفي ما تقدم بيانه في النقاط الثلاثة أعلاه، قُدِّم قول واجتهاد علماء القرن الأول، على قول واجتهاد علماء القرن الثاني، وقول واجتهاد علماء القرن الثاني على قول واجتهاد علماء القرن الثالث، وقول واجتهاد علماء القرن الثالث على من يأتي بعدهم.

<sup>37</sup> صحيح سنن ابن ماجه: 18.

**خامساً:** ثم بعد ذلك يُلتَمَس الحق فيما يستجد من نوازل ومسائل عند العلماء الذين يلتزمون بالكتاب والسنة على فهم الصحابة، والسلف الصالح بحسب التسلسل الوارد أعلاه.

هذه هي السلفية الحققة، وهذا هو المنهج السلفي الحق، وما سواه من المناهج فهي خلفية تلفية مقيطة مهما زعم أصحابها بلسانهم أنهم سلفيون، وأنهم على منهج وفهم السلف الصالح .. فواقع الحال يكذب لسان المقال.

والعالم على قدر ما يلتزم بهذا المنهج السلفي السني . في الفهم والاتباع والطلب والفتوى . الوارد أعلاه .. على قدر ما يعلو قدره في الأرض، وفي السماء .. وهو الذي ننصح طلاب العلم بمراجعته وسؤاله .

بينما العالم الذي يبتعد عن هذا المنهج السلفي السني الوارد أعلاه .. فإن قدره ونفعه يقل ويضعف .. على قدر بعده عن هذا المنهج الحق.

إضافة إلى ما تقدم . من التزام بالمنهج . فإنه يُقصد العالم في الفتوى والسؤال الأكثر تقاً، لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ البقرة:282. والأكثر خشية، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ الفطرة:28. فعلى قدر العلم تكون الخشية، وعلى قدر الخشية يكون العلم، فكل منهما لازم وملزوم للآخر.

والأكثر ابتعاداً عن موارد الشبهات، ومن ذلك بعده عن سلاطين الجور والفجور، وعن مجالسهم وموائدهم والحاجة إليهم، وعن الجدال عنهم ودونهم .. فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: " من أتى أبواب السُّلطان افتتن، وما ازداد أحدٌ من السُّلطان قرباً، إلا

ازداد من الله بُعداً" [38]. وقال ﷺ: "يليكُم عمالٌ من بعدي يقولون ما لا يعلمون، ويعملون ما لا يعرفون، فمن ناصحهم، ووازرهم، وشدَّ على أعضادهم فأولئك قد هلكوا وأهلكوا" [39]. وقال ﷺ: "اسمعوا، هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراءٌ فمن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولستُ منه، وليس بوارِدٍ عليَّ الحوض" [40]. ومن لم يكن من النبي ﷺ، والنبي ﷺ ليس منه لا يستحق أن يُستفتى ويُراجَعَ في مسائل الدين والدنيا.

وعليه فنقول: العالم الذي يلتزم بهذا المنهج الوارد أعلاه، ثم هو يتصف بالصفات الواردة أعلاه، هو الذي ينبغي أن يُقصد بالفتوى والسؤال، وهو المعنى من قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل:43.

فإن ظفرت بهذا العالم، لا تتخرج من أن تسأله الدليل من الكتاب أو السنة فيم يُفتيك به، أو تقول له: هل هذا الذي أفتاك به هو الذي قضت به السنة، فإن قال لك نعم، فتأخذ به، وإن قال لك: لا، أو لا أعلم .. فتدعه وتتوجه بالسؤال إلى غيره من أهل العلم .. لأن طلب العلم يكون بمعرفة الحق بدليله من الكتاب أو السنة .. فأن فعلت ذلك تكون حينئذٍ أقرب لمعنى الاتباع لسنة النبي ﷺ .. منك لتقليد هذا العالم أو ذاك، ثم بعد ذلك لا تعرف أين أنت من الحق، ولا أين أنت من السنة، ومن حكم وقضاء الله تعالى ورسوله ﷺ.

<sup>38</sup> رواه أحمد، السلسلة الصحيحة: 1272.

<sup>39</sup> رواه الطبراني، السلسلة الصحيحة: 457.

<sup>40</sup> صحيح سنن الترمذي: 1843.

## . تنبيه:

العالم الذي يدعو إلى شيء من الشرك، أو يناصر الشرك، أو يوالي الشرك والمشركين على الإسلام والمسلمين .. فهذا ليس بعالم، ولا يُستفتى، ولا يُستأمن على دين ولا دنيا، بدليل قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران:18. فالآية الكريمة جمعت وحصرت جميع أهل العلم من لدن آدم عليه السلام وإلى يوم القيامة بأنهم جميعاً يشهدون اعتقاداً وقولاً وعملاً ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، وبالتالي فإن من يشهد أو يدعو إلى ما يُضاد ويُناقى شهادة التوحيد " لا إله إلا الله"، فهو بنص الآية الكريمة يخرج من زمرة العلماء، ومن صفتهم، ويكون حينئذٍ أقرب إلى صفة بلعام الذي ناصر المشركين على المسلمين بدعائه، بعد أن علّمه الله تعالى وآتاه بعضاً من آياته، فأنزل الله فيه: ﴿وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف:175-176. فبلعام هذا مثل سوء لكل عالم سوء يرضى لنفسه أن يُجادل عن الشرك والمشركين، وعن الطغاة المجرمين.

## مسائل متفرقة:

### المسألة الأولى: من هم أهل السنّة والجماعة، وما هي صفتهم؟

كثير الذين ينسبون أنفسهم لأهل السنة والجماعة، حتى بتنا نرى كثيراً من أهل البدع والأهواء، ممن ينتهجون المناهج المغايرة لمنهج أهل السنة والجماعة ينسبون أنفسهم وزورهم إلى أهل السنة والجماعة .. لذا لا بد من الإجابة عن هذا السؤال: من هم أهل السنة والجماعة، وأي الفرقاء أوفر حظاً بأهل السنة والجماعة؟

أقول: أهل السنة والجماعة، هم الذين يلتزمون غرز السنة، وغرز الجماعة التي تلتزم غرز السنة، وغرز ما كانت عليه الجماعة في عهد النبي ﷺ، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثلثان وسبعون في النار"، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: "الجماعة" [41].

وفي رواية عند الترمذي، من حديث عبد الله بن عمرو قال: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه، وأصحابي" [42].

فالحديثان حددا صفة الفرقة الناجية، وصفة أهل السنة والجماعة؛ فهي الجماعة التي تكون على ما كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه من منهج ودين وسنة، والتزام .. وبالتالي فإن الطوائف والأحزاب والتجمعات المعاصرة تُعرض على هذا الوصف وهذا الميزان، فهي على قدر قربها واتصافها بهذه الأوصاف على قدر ما تكون من أهل

<sup>41</sup> صحيح سنن ابن ماجه: 3226.

<sup>42</sup> صحيح سنن الترمذي: 2129.

السنة والجماعة وعلى قدر ما تكون قريبة منهم، وعلى قدر بعدها عن هذه الصفات على قدر ما تكون بعيدة عن أهل السنة والجماعة، وعن صفاتها .. فالطائفة الواحدة قد يكون فيها بعض ما يوافق عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة، وبعض ما يخالف عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة، وهذه لا يُقال عنها: أنها من أهل السنة والجماعة على الاطلاق، كما لا يُنفى عنها صفة ومسمى أهل السنة والجماعة على الاطلاق، وإنما يُقال: فيها ما يوافق أهل السنة والجماعة، وفيها ما يخالف على قدر الموافقة والمخالفة.

**المسألة الثانية: بِمَ تُعْرَفُ الْجَمَاعَةُ .. هَلْ تُعْرَفُ بِالْكَمِّ .. أَمْ بِمُؤَافِقَةِ**

**الْحَقِّ قَلَّ عِدْدهَا أَمْ كَثُرَ؟**

أقول: تُعْرَفُ الْجَمَاعَةُ بِمُؤَافِقَةِ الْحَقِّ، سِوَاءِ قَلَّ عِدْدهَا أَمْ كَثُرَ، فَالْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ الْحَقُّ وَلَوْ كُنْتَ وَحْدَكَ .. وَيُقَالُ: تُعْرَفُ الْجَمَاعَةُ بِمُؤَافِقَةِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَحْبِهِ، وَلَوْ كُنْتَ وَحْدَكَ.

قال رسول الله ﷺ: "وفي رواية: "إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: "أناس صالحون في أناسٍ سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم" أحمد.

وقال ﷺ: "إن من الأنبياء من لم يُصدقَه من أمته إلا رجل واحد" مسلم.

قال عبد الله بن مسعود ؓ لعمر بن ميمون: "جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك".

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذٍ".

وقال ابن القيم في أعلام الموقعين: "اعلم أن الإجماع والحجة، والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض" -هـ.

وفي زمن فتنة خلق القرآن، كانت الجماعة الحق يومئذٍ التي يجب تكثير سوادها متمثلة في موقف الإمام أحمد رحمه الله تعالى، الذي أبى رغم السياط والسجن، والتهديد بالقتل. وانتكاس الكثير. أن يقول: أن القرآن مخلوق، وأبى إلا الثبات على الحق، وعلى القول: بأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى .. فكان هو الجماعة يومئذٍ.

فالأكثرية لا تعني دائماً أنها على حق، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الأنعام:116.

قال حسن البصري: فإن أهل السنّة كانوا أقلّ الناس فيما مضى، وهم أقلّ الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الاطراف في ترفهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكونوا كذلك ا-هـ.

**المسألة الثالثة: هل يوجد فرق بين الطائفة أو الفرقة الناجية، وبين**

**الطائفة المنصورة الظاهرة؟**

أقول: نعم يوجد فارق: الفرقة الناجية هي الجماعة الأم للمسلمين التي تتوفر فيها صفتي المتابعة للسنّة، وسلامة الاعتقاد، وهي شاملة لعامة المسلمين وخاصتهم العلماء منهم وغيرهم، الأقوياء منهم والضعفاء، المجاهدون منهم والقاعدون، والرجال والنساء سواء، والشيوخ والعجائز والشباب وغيرهم ممن يتصف بصفتي المتابعة

للسنة، وسلامة الاعتقاد، كما أفاد حديث الافتراق إلى فرق، فقال النبي ﷺ عن الفرقة الناجية هي التي تكون: "على ما أنا عليه وأصحابي".

بينما الطائفة المنصورة هي الصفوة والطليعة والنخبة من الفرقة الناجية، وهي تتمثل بالعلماء العاملين الصادعين بالحق، الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وبالمجاهدين المقاتلين في سبيل الله الذين لا يضرهم من خذلهم.

وعليه فإن كل واحد من الطائفة المنصورة هو من الفرقة الناجية، ولا يلزم بالضرورة أن يكون كل واحد من الفرقة الناجية، هو من الطائفة المنصورة، لأنه لا ينبغي ولا يجوز أن نفترض في كل واحد من الفرقة الناجية أن يكون من العلماء، ومن المجاهدين في سبيل الله، وإليك الدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران:104. فهذا خطاب موجه لمجموع الأمة المتمثلة بـ " الفرقة الناجية " بأن ينفر منهم طائفة معينة ومتخصصة. وهو المراد هنا بالأمة . تتفرغ وتتخصص للنهوض بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالنص فرق بين " الفرقة الناجية " وهي مجموع الأمة المعنية بالخطاب، وبين الطائفة المنصورة .. وهم المجموعة من الأمة العامة ينهضون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابن كثير في التفسير 398/1: يقول تعالى: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون.

قال الضحاك: هم خاصة الصحابة، وخاصة الرواة؛ يعني المجاهدين والعلماء،  
والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ا- هـ.  
فهم خاصة الخاصة .. وهذا يستحيل أن يكون أو يتحقق في كل واحد من الفرقة  
الناجية الشاملة لمجموع أمة التوحيد .. بما فيهم العجزة .. وغيرهم من الفساق  
والعصاة!

وقال تعالى: ﴿وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ آل عمران: 146.  
فالربيون هنا هم صفوة الطائفة المنصورة الذين يُجاهدون في سبيل الله، ولا  
يخشون في الله لومة لائم .. إذ لا يجوز أن نفترض في العامة كلهم ممن ينتسبون للفرقة  
الناجية أن يكونوا من الربانين!

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ  
وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ  
عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا  
عَظِيمًا﴾ النساء: 95.

ففرق الله تعالى بين القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر الذين يدخلون في  
الفرقة الناجية، وبين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الذين يدخلون في  
الطائفة المنصورة الظاهرة؛ فهما لا يستويان صفة ومهمة كما أنهما لا يستويان من  
حيث الأجر والدرجات يوم القيامة، وإن كانا يشتركان بصفة النجاة من العذاب بدليل

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ولكن ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ وهم من الطائفة المنصورة على ﴿الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهم من الفرقة الناجية.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك".

وقال ﷺ: "لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون".

وقال ﷺ: "لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة".

وقال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة".  
وقال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس" [43].

وقال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال" [44].

وقال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي قوامه على أمر الله لا يضرها من خالفها" [45].

---

<sup>43</sup> جميع ما تقدم من أحاديث قد خرجها مسلم في صحيحه، وأحاديث الطائفة المنصورة مخرجة في الصحيحين، والسنن وغيرها من كتب الأحاديث.

<sup>44</sup> صحيح سنن أبي داود: 2170.

<sup>45</sup> صحيح سنن ابن ماجه: 7.

وقوله ﷺ: "طائفة من أمتي .. عصابة من المسلمين .. يُقاتلون .. ظاهرين على الحق .. قوامه على أمر الله"، يفيد التبعية فالتائفة هنا جزء من كل، هي الطائفة المنصورة من كل المتمثل في أمة الإسلام؛ الفرقة الناجية.

قال النووي رحمه الله: يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين؛ منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وأمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض<sup>[46]</sup>.

**فإن قيل: هل يوجد من أمة الإسلام قسم ثالث غير الفرقة الناجية،**

**والطائفة المنصورة؟**

أقول: نعم يوجد؛ فالمسلمون موزعون في ثلاثة فرق وطوائف: الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وقد تقدم الدليل على وجودهما وصفتهما، أما الطائفة الثالثة، فهم أهل القبلة، وهي تضم كل من يستحق الوعيد والعقاب من الفساق والعصاة من أهل الكبائر، وغيرهم من أهل البدع والأهواء ممن لم تبلغ بهم البدع والأهواء والمعاصي درجة الكفر البواح .. فهؤلاء من أهل القبلة والوعيد ولا يدخلون في الفرقة الناجية إلا على اعتبار المأل .. وعليه يمكن القول: أن كل واحد من الفرقة الناجية هو من أهل القبلة، ولكن لا يلزم أن يكون كل واحد من أهل القبلة من الفرقة الناجية من غير وعيد ولا عقاب، كما في الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة يقول الكفار: ألم تكونوا

<sup>46</sup> شرح صحيح مسلم: 67/13.

مسلمين؟ قالوا: بلى. قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع ما قالوا فأمر بمن كان من أهل القبلة فأخرجوا فلما رأى ذلك أهل النار قالوا: ياليتنا كنا مسلمين، فنخرج كما خرجوا قال: وقرأ رسول الله ﷺ ﴿الرَّتْلِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ \* رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ الحجر:1-2.[47].

وقال ﷺ: "من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته" البخاري.

وقد سأل رجل جابر بن عبد الله: هل كنتم تسمون أحداً من أهل القبلة كافراً؟ فقال: معاذ الله! قال: فهل تسمونه مشركاً؟ قال: لا.

وعليه فإن أهل القبلة هم مسلمون قد قارفوا من المعاصي والذنوب ما أخرجهم عن صفة الفرقة الناجية، لكنها لم تخرجهم عن صفة وحكم أهل القبلة، الذين ينتهون إلى النجاة بعد وعيد وعقاب.

### المسألة الرابعة: من هم السلفيون، وهل يجوز التسمي بالسلفيين؟

كلمة السلفية والسلفيين عندما تعني معنى الرجوع إلى الكتاب والسنة، على ضوء فهم السلف الصالح من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان في القرون الخيرية الأولى .. وتعني صفة من كان على هذا المنهج .. فهي عندما تعني ذلك .. فهي حينئذٍ كلمة محمودة، نتفهمها ونستسيغها .. ولا نرى حرجاً من استخدامها .. أما إن كانت تعني

<sup>47</sup> كتاب السنة، لابن أبي عاصم:843، قال الشيخ ناصر في التخريج: حديث صحيح.

التحزب والتقوقع، والتعصب لبعض الأشخاص المعاصرين، وتفريق الأمة في أحزاب وتجمعات وتكتلات ما أنزل الله بها من سلطان .. وتحمل . في بعض الأحيان . على من يركن إلى الطغاة الظالمين .. يمد لهم حبال الود والموالة .. فحينئذ نرفضها، ونتحفظ من استخدامها .. نقول ذلك: لأن هذه الكلمة . وللأسف . من جملة الكلمات والمفاهيم التي أسيء إليها، وأسيء استخدامها .. وأصبحت حمالة أوجه ومعاني .. منها الصالح ومنها الطالح .. وبالتالي لكي تستجلي مراد مستخدمها لا بد من أن تسأله عن مراده وقصده .. وماذا يعني ويقصد من استخدامه لهذا الاصطلاح .. وعليه فإن من يستخدمها لا بد له من أن يأتي بالقرائن اللفظية التي تدل على أنه يريد الجانب الصالح منها، حتى لا يُفهم خطأ.

أما عن التّسمي به بدلاً عن اسم المسلم، والمسلمين .. أو اسم ثانٍ مع اسم المسلم والمسلمين، فلا أرى جواز ذلك، لانتفاء الدليل عليه، ولأن الصحابة والتابعين لهم بإحسان في القرون الثلاثة الأولى لم يرتضوه اسماً لأنفسهم .. ثم لورود الدليل الذي يمنع من ذلك، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا ﴾ الحج:78. أي وفي هذا القرآن .. فارتضوه لكم .. وبالتالي لا يجوز العدول عن اسم سمانا الله به على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام، وارتضاه لنا.

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ الزخرف:69.

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران:67.

وقال تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يوسف:101.

وقال تعالى عن السحرة لما آمنوا: ﴿رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ الأعراف:126. وغيرها كثير من الآيات الدالة على أن اسم الإسلام والمسلم والمسلمين قد ارتضاه الله تعالى لعباده، وارتضاه جميع الأنبياء والمرسلين لأممهم وأتباعهم [48].

ولما سئل الإمام مالك عن السنة، قال: "هي ما لا اسم لها غير السنة".

ولما سئل عن أهل السنة، قال: "أهل السنة الذين ليس لهم لقب يُعرفون به لا جهمي ولا قدرري، ولا رافضي".

---

<sup>48</sup> كل ملل الكفر والباطل تراها. لتسد النقص والخلل في دينها. تنسب نفسها ودينها إلى الرجال، ويحبون أن يتسموا بالأسماء التي تفيد نسبتهم إلى الأنبياء وغيرهم من الرجال، فالنصارى يطيب لهم أن يتسموا بالمسيحيين نسبة للمسيح عليه السلام، واليهود إلى يهودا، وإلى نبي الله إسرائيل، فيسمون أنفسهم بالإسرائيليين، والبوذيون نسبة إلى بوذي، وكذلك الشيعة الروافض الإثني عشرية، وغيرهم من الفرق والملل تراهم ليغطوا بعض ما هم عليه من باطل وضلال وانحراف ينسبون أنفسهم وطوائفهم للأنبياء والصالحين، وغيرهم من الرجال ... إلا المسلم، فإن اسمه ودينه يُنسب إلى دين وليس إلى اسم شخص معين ألا وهو الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران:19. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران:85. ولشعورهم أن دينهم حق كامل لا يعتريه أدنى نقص أو ضعف .. وبالتالي هم ليسوا بحاجة إلى أن يستتروا خلف أسماء الصالحين، أو أن يسموا أنفسهم ودينهم بمحمديين أو المحمدية، أو غير ذلك من الأسماء، مع التأكيد أن المسلمين هم الأولى بجميع الأنبياء والمرسلين لا نفرق بين أحد منهم، وهم الأكثر حبا وانقيادا ومتابعة لهم صلوات الله وسلامه على رسولنا وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

المسألة الخامسة: هناك مقولة شائعة تقول: "السلف أسلم، والخلف

أحكم" .. فما مدى صحة هذه المقولة؟

أقول: هذه المقولة الشائعة على بعض الألسنة باطلة خاطئة، بل نقول: السلف هم الأسلم والأحكم، والقول بأن فهم الخلف أحكم من فهم السلف، هو باطل من أوجه: منها: تتضمن تكذيب ورد النصوص الشرعية التي تُثبت أن السلف أفضل، وأسلم، وأحكم .. وقد تقدم ذكر بعضها .. ومنها: فيه انتقاص من قدر الصحابة والتابعين لهم بإحسان .. وقد تقدم النهي عن ذلك، ومنها: أن الصحابة قد رضي الله عنهم بنص الكتاب والسنة .. وأكثرهم قد بُشِّرَ بالجنة .. فأين الخلف من ذلك؟! ومنها: أن الشارع قد أمر بالافتداء بالسلف الصالح، بخلاف الخلف. ومنها: أن الصحابة عاصروا نزول الوحي، وقد تلقوا العلم صافياً نقيماً من النبي ﷺ مباشرة .. ومن دون أن يلتفتوا عنه إلى مشارب شتى لا تخلو من الدرن والانحراف .. فهم صلة الوصل بين النبي ﷺ وبين من جاء بعدهم .. وهذه خاصية ليست لأحد بعدهم. ومنها: أن الصحابة حيمهم دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق، كما ورد ذلك في جملة من الأحاديث النبوية الشريفة .. وأين الخلف من كل ذلك!؟

لأجل ذلك قلنا ونقول: أن السلف هم الأسلم وهم الأحكم من الخلف .. والقول

بخلاف ذلك خطأ وجور.

المسألة السادسة: ما هي الوسائل التي تعيننا على تحقيق هذا المنهج، في

الطلب والتلقي والاتباع؟

أقول: هناك وسائل عدة:

**منها:** حسن الاستعانة بالعلماء العاملين، وبطلبة العلم الذين يلتزمون غرر هذا المنهج السلفي السني .. كما تقدم.

**ومنها:** حسن انتقاء الكتاب النافع الذي يلتزم بهذا المنهج في التلقي .. ويُعين على فهم هذا المنهج .. ونحوه وسائل التلقي الأخرى المكتوبة والمسموعة، والمرئية .. ولا بأس بأن تستعين في تحديد ذلك بمن تطمئن إلى دينه وسلامه عقيدته ومنهجه.

فالمكتبة الإسلامية تعج بعشرات الآلاف من العناوين والمواضيع .. فمنها الغث ومنها الثمين .. وقد هلك وأهلك من لا يُحسن التمييز بين الغث من الثمين منها .. فأقبل عليها كحاطب وقمّاش ليل.

**ومنها:** ملازمة الأقران الصالحين الذين يذكرونك إذا نسيت، ويُساعدونك على مذاكرة مسائل الدين والإيمان .. فالمرء قد يستفيد من قرينه الصالح أكثر مما يستفيد من أستاذه.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إنما مثْلُ الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن يتباع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة" مسلم.

وقال ﷺ: "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل" [49].

وقال ﷺ: "المؤمن مرآة المؤمن" [50]. إذا رأى منه عيباً أو نقصاً أصلحه.

**ومنها:** اعتزال مجالس أهل الأهواء والبدع، والفسوق، واعتزال الاستماع إليهم .. وبخاصة في المراحل الأولى من الطلب .. فهؤلاء مثل مثلهم مثل نافع الكبير. كما تقدم في الحديث اعلاه. إما تشتم منهم رائحة خبيثة كريهة، فتسمع منهم كلمة تؤذيك في دينك، وإما أن يحرقوا ثيابك فيخرجونك من السنة والاستقامة إلى البدعة والضلالة.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام:68.

وقال ﷺ: "من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام" [51]. لأن في توقيره له يزيه وبدعته للناس، فيكون لهم بذلك سبب ضلالة وانحراف عن الحق. وعن ابن مسعود قال: من أحب أن يُكرم دينه فليعتزل مجالسة أصحاب الأهواء فإن مجالستهم ألصق من الجرب.

<sup>49</sup> رواه الترمذي وغيره، صحيح الجامع: 3545.

<sup>50</sup> صحيح سنن أبي داود: 4110.

<sup>51</sup> رواه البيهقي في شعب الإيمان، قال الشيخ ناصر في تخريج أحاديث المشكاة 66/1: وقد روي موصولاً ومرفوعاً من طرق كثيرة يطول الكلام بإيرادها، وقد يرتقي الحديث بمجموعها إلى درجة الحسن - هـ.

عن الحسن البصري قال: لا تُجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك". وغيرها كثير من الآثار السلفية السنية التي تحذر من البدع وأهلها، وهي أكثر من أن تحصر في هذا الموضوع [52].

**ومنها:** اللجوء إلى الدعاء، والتزام حدود التقوى، والحرص على طيب وجل المأكل والمشرب والملبس .. فهذا كله مما يُساعد ويُعين على طلب العلم وفهمه، وتحصيله، بإذن الله.

### **.تنبيه هام:**

عودة على ذي بدئٍ فننبه إلى ما كنا قد نهبنا إليه من قبل وهو أن جميع هذه الوسائل الأنفة الذكر يضاعف أثرها، ويقل نفعها، إذا لم ننتبه إلى العمل بقاعدة سد الذرائع التي سبقت الإشارة إليها، ونُحكِم إغلاق الأبواب والنوافذ جيداً أمام تسرب السموم والشُرور التي تبث ليل نهار عبر القنوات التلفزيونية، وغيرها من وسائل البث والإعلام التي تنشر ثقافة الشر والشرك .. وذلك بحسب الاستطاعة والقدرة، فإن كنت لا تستطيع أن تحجب كل الشر، قد تستطيع أن تقلل منه، واعلم أن ما تيسر لا يسقط بما تعسر، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن:16. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة:286.

واعلم أن من يرضى لنفسه أن يقف تحت مزارب من الأوساخ أكثر أوقاته، لا ينفعه حينئذٍ الاستحمام والاعتسال، ولو استحم واغتسل في اليوم مائة مرة!

<sup>52</sup> انظر إن شئت كتاب البدع والنهي عنها، لمحمد بن وضاح القرطبي.

## تساؤل واعتراض:

قد يعترض معترض فيقول: لماذا تريد أن تحرمنا حقنا في أن نستعبد الإنسان لثقافتنا وعاداتنا وقيمتنا .. ثم تريد أن تجعل ذلك مقصوراً على مبادئ وقيم الإسلام؟ أقول: لأن الإنسان عبد لله تعالى وحده، وليس عبداً للعبد، فليس من حق

العبيد أن يعبدوا العبيد للعبيد، ولقيم ومبادئ وثقافات العبيد!

وإنما هذا الحق مقصور لله تعالى وحده، وخاص به دون أحد من خلقه .. لماذا؟ لأن الله تعالى هو الخالق المالك لهذا الكون وما فيه ومن فيه من المخلوقات، وهو المتصرف بها كيفما يشاء، وهو المتفضل عليها بأسباب الوجود والحياة، وهو الرازق لها، والمحي والمميت .. وهو الرب والإله المألوه والمعبود بحق .. وبالتالي له كامل الحق وحده في أن يربي عباده على ما يريد من دينٍ وقيم، ومبادئ .. فالله تعالى وحده الذي له الحق في أن يقول لعبده أفعَل أو لا تفعل .. هذا حلال فأته وهذا حرام فاجتنبه .. هذا طيب وهذا خبيث .. وهذا جميل وهذا قبيح .. وهذا زين وهذا شين .. والعبد ليس له إلا أن يطيع خالقه وربه ومعبوده ومالكة فيما يأمر به، وينهى عنه.

ومنه يُعلم قبح وخطورة أن يستشرف العبدُ المخلوق الضعيف القاصر. الذي لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة إلا ما شاء الله . هذا الحق، وهذه الخاصية لنفسه، فيشبع ويتظاهر بما ليس له، ولا فيه .. فيجعل من نفسه نداً لله تعالى في تعبيد العباد لنفسه وقانونه وشرعه، وقيمه وأهوائه من دون الله!

أشد أنواع الظلم، والذل والاستعباد، أن يدخل العبيد في عبودية العبيد، وأن يعترف العبيد للعبيد بحقوق الربوبية والألوهية من دون . أو مع . الله، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان:13.

لذا كانت مهمة جميع الأنبياء والرسل، وأتباعهم من المؤمنين في هذه الحياة، مقصورة على تحقيق التوحيد في الأرض، كل الأرض، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل:36.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء:25.

أسأل الله تعالى أن يرينا الحقَّ حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه .. وأن يجعل من هذا الكتاب مفتاح خير مغلاق شر، وأن يتقبله مني، إنه تعالى سميع قريب مجيب، وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

" أبو بصير الطرطوسي "

1431/9/21 هـ. 2010/8/31 م.